الْعَلَّامَةُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ ٣٠ جماد الآخرة ١٤٣٤هـ

الْحَمْدُ للهِ أَعْلَى شَأْنَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاء ، وَجَعَلَ طَلَبَ الْعِلْمِ مِنْ أَجَلِّ الأَعْمَالِ وَأَعْظَمِ الْقُرُبَات ، فَقَالَ تَعَالَى(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ) وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، حَثَّنَا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَأَمَرَنَا بِهِ ، فَقَالَ (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) فَصَلاةُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِين ، أَقْمَارِ الدُّجَى وَمَصَابِيحِ الْهُدَى وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَهَذِهِ سِيرَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِعَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ وَفَقِيهٍ مِنْ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ ، مَلأَ اللهُ بِهِ الدُّنْيَا عِلْمَاً ، وَتَعَجَّبَ مِنْ فِقْهِهِ وَاسْتِنْبَاطِهِ الْقَاصِي وَالدَّانِي ، وَاسْتَفَادَ مِنْ بَحْرِ عُلُومِهِ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ ، إِنَّهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ ، مِنْ قَبِيلَةِ الْوهَبَةِ مِنْ بَنِي تَمِيم ، وُلِدَ فِي لَيْلَةِ ٢٧ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ١٣٤٧هـ فِي مَدِينَةِ عُنَيْزَةَ ، إِحْدَى مُدُنِ الْقَصِيمِ ، وَنَشَأَ نَشْأَةً صَالِحَةً طَيِّبَةً ، تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ فِي الْكُتَّابِ ، وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَلَى جَدِّهِ لِأُمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَان آل دَامِغْ ، فَحَفِظَ الْقُرْآنَ فِي سِنِّ الْعَاشِرَةِ ، وَتَتَلْمَذَ عَلَى الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ، وَهُوَ شَيْخُهُ الأَوَّلُ إِذْ أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ وَتَأَثَّرَ بِمَنْهَجِهِ وَتَأْصِيلِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلدَّلِيلِ وَطَرِيقَةِ تَدْرِيسِهِ .

وَلَمَّا فُتِحَ مَعْهَدُ الرِّيَاضِ الْعِلْمِيُّ اسْتَأْذَنَ شَيْخَهُ ابْنَ سَعْدِيٍّ فِي الالْتِحَاقِ بِهِ ، فَدَرَسَ فِيهِ ، وَكَانَتْ الدِّرَاسَةُ فِيهِ بَعْدَ الابْتِدَائِيِّ وَقَبْلَ الْكُلِّيَّةِ ، وَمُدَّتُهَا أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نِظَامُ الْقَفْزِ ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ اسْتِعْدَادٌ لِلتَّقَدُّمِ فِي الدِّرَاسَةِ ، فَإِنَّهُ تُتَاحُ لَهُ الْفُرْصَةُ فِي الْعُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ فَيَدْرُسُ مُقَرَّرَاتِ السَّنَةِ التِي بَعْدَ سَنَتِهِ التِي انْتَهَى مِنْهَا وَيَخْتَبِرَ فِيهَا ، فَاخْتَصَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ الْمَعْهَدَ فِي سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمَّا فُتِحَ الْمَعْهَدُ الْعِلْمِيُّ بِعُنَيْزَةَ سَنَةَ ١٣٧٤هـ اُخْتِيرَ مُعَلِّمَاً فِيهِ ، مَعَ اسْتِمْرَارِهِ فِي حُضُورِ دُرُوسِ شَيْخِهِ ابْنِ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ ، ثُمَّ لَمَّا فُتِحَتْ كُلِّيَّةُ

الشَّرِيعَةِ بِالرِّيَاضِ انْتَسَبَ فِيهَا وَأَخَذَ شَهَادَتَهَا بِجَدَارَةٍ ، وَبَعْدَ افْتِتَاحِ كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بِالْقَصِيمِ انْتَقَلَ مِنَ التَّدْرِيسِ فِي الْمَعْهَدِ إِلَيْهَا ، وَاسْتَمَرَّ فِي التَّدْرِيسِ فِيهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ . وَلَمَّا تُوُفِّيَ شَيْخُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِيٍّ سَنَةَ ١٣٧٦هـ تَوَلَّى الإِمَامَةَ وَالْخَطَابَةَ وَالتَّدْرِيسَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بِعُنَيْزَةَ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : وَحِينَ كَانَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ يَدْرُسُ فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ بِالرِّيَاضِ الْتَحَقَ بِدُرُوسِ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ ، بِالإِضَافَةِ لِتَدْرِيسِهِ لَهُ فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ ، وَلَمَّا عَرَفَهُ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ اعْتَنَى بِهِ وَخَصَّهُ بِدُرُوسٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَا كَانَ يُلْقِيهِ لِعُمُومِ الطُّلابِ ، وَذَلِكَ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحِرْصِ وَقُوَّةِ الْفَهْمِ وَالنَّبَاهَةِ ، فَقَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَبَعْضِ رَسَائِلِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ وَانْتَفَعَ بِهِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ ، وَالنَّظَرِ فِي آرَاءِ فُقَهَاءِ الْمَذَاهِبِ وَالْمُقَارَنَةِ بَيْنَهَا ، وَلَمْ يَزَلْ مَحَلَّ تَقْدِيرٍ وَإِكْبَارٍ مِنَ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ حَتَّى تُوُفِّيَ رَحِمَهُمَا اللهُ .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الذِينَ دَرَسَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ الشَّيْخُ الْمُفَسِّرُ الأُصُولِيُّ : مُحَمَّدُ الأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ صَاحِبُ تَفْسِيرِ أَضْوَاءِ الْبَيَانِ . يَقُولُ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ عَنْ أَوَّلِ لِقَاءٍ جَمَعَهُ بِالشَّنْقِيطِيِّ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي قَاعَةِ الْفَصْلِ فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَدَوِيُّ الْهَيْئَةِ أَسْمَرُ الْبَشْرَةِ رَثُّ الثِّيَابِ ، وَجَلَسَ عَلَى مَقْعَدِ التَّدْرِيسِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : الآنَ أَتْرُكُ شَيْخَنَا ابْنَ سَعْدِيٍّ وَعِلْمَهُ الْوَاسِعَ وَطِيبَتَهُ وَأَرْيَحِيَّتَهُ وَسَمَاحَةَ نَفْسِهِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ أَتَعَلَّمَ عِنْدَ هَذَا الإِفْرِيقِيِّ الْبَدَوِيِّ ؟

يَا ضَيْعَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ! ثُمَّ إِنَّ هَذَا الأَعْرَابِيَّ بَدَأَ فِي الْكَلامِ ، فَحَمِدَ اللهَ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَكَلَّمَ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ وَصُنُوفِهِ مِنْ حِفْظِهِ بِلا كِتَابٍ ، فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ وَتَلا الآيَاتِ وَنَقَلَ أَقْوَالَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَخِلافَاتِهِمْ ، قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا ، وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ بِأَسَانِيدِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَالْحُكْمَ عَلَيْهَا ، وَرَوَى الأَشْعَارَ وَالشَّوَاهِدَ وَالنُّصُوصَ الطَّوِيلَةَ الْهَائِلَةَ ، وَتَفَجَّرَتْ أَنْهَارُ الْعُلُومِ مِنْ بَيْنِ جَنَبَاتِهِ ، وَتَدَفَّقَتْ مِنْ لِسَانِهِ كَالسَّيْلِ الْهَادِرِ عُلُومٌ وَأَقْوَالٌ لا

يَكَادُ يَحْوِيهَا صَدْرُ عَالِمٍ لَقِينَاهُ أَوْ عَاصَرْنَاهُ ! فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ أَيَّمَا فَرَح ، وَشَكَرْتُ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَمَكَّنْتُ مِنْ لُقْيَا هَذَا الْجَبَلِ الأَشَمِّ وَالْبَحْرِ الزَّاخِرِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : وَأَمَّا بَذْلُ الشَّيْخِ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ لِلْعِلْمِ وَقِيَامُهُ بِالدَّعْوَةِ فَهُوَ مُتَنَوِّعٌ وَمُتَعَدِّدٌ فِي جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ ، وَهَكَذَا هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ يَكْثُرُ خَيْرُهُمْ وَنَفْعُهُمْ لِلنَّاسِ لِمَا حَصَّلُوا مِنَ الْعِلْمِ ، وَيَصِيرُونَ كَالْغَيْثِ حَيْثُ مَا حَلَّ هَطَلَ .

فَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَبْذُلُ الْعِلْمَ عَنْ طَرِيقِ التَّدْرِيسِ ، وَعَنْ طَرِيقِ الْمُحَاضَرَاتِ فِي الْمُدُنِ التِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا دَاخِلَ الْمَمْلَكَةِ ، وَكَانَ يُلْقِي مُحَاضَرَاتٍ عَنْ طَرِيقِ الْهَاتِفِ فِي أُورُبَّا وَأَمْرِيكَا وَغَيْرِهِمَا ، وَيَقُومُ بِالتَّدْرِيسِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَيُشَارِكُ فِي تَوْعِيَةِ الحُجَّاجِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ بِالْفَتَاوَى ، وَإِلْقَاءِ الدُّرُوسِ وَالْمُحَاضَرَاتِ .

وَمِنْ مَجَالاتِ دَعْوَتِهِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ : قِيَامُهُ بِالْفَتَاوَى عَلَى مَا يَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ أَسْئِلَةٍ مِنْ دَاخِلِ الْمَمْلَكَةِ وَخَارِجِهَا ، سَوَاءً بِالْمُرَاسَلَةِ أَوِ الْمُقَابَلَةِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ الْهَاتِفِ ، وَقَدْ خَصَّصَ وَقْتاً مُعَيَّنَاً لِلإِفْتَاءِ عَنْ طَرِيقِ الْهَاتِفِ ، وَكَانَ يُواظِبُ عَلَى الإِفْتَاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَهُوَ فِي بَلَدِهِ عُنَيْزَةَ ، وَإِذَا سَافَرَ جَعَلَ تَسْجِيلاً عَلَى الْهَاتِفِ يُرْشِدُ إِلَى رَقَمٍ فِي الْبَلَدِ الذِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ .
وَمِنْ مَجَالاتِ تَعْلِيمِهِ وَدَعْوَتِهِ : مُشَارَكَتُهُ الْكَثِيرَةُ الْمُفِيدَةُ فِي الإِذَاعَةِ ، فَلَهُ بَرَامِجُ ثَابِتَةٌ فِي الإِذَاعَةِ ، هِيَ : بَرْنَامَجُ (نُورٌ عَلَى الدَّرْبِ) وَبَرْنَامَجُ (سُؤَالٌ عَلَى الْهَاتِفِ) وَبَرْنَامَجُ (مِنْ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَلَهُ أَحَادِيثُ فِي الإِذَاعَةِ غَيْرُ ثَابِتَةٍ فِي مَوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةٌ .

وَأَمَّا دُرُوسُهُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُسَجَّلَةُ فِي الأَشْرِطَةِ ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ الْمَكْتُوبَةُ فَقَدْ سَارَتْ مَسِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاسْتَفَادَ مِنْهَا حَتَّى الْعُلَمَاءُ الْمُعَاصِرُونَ لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ ، بَلْ الآنَ قَدْ جُعِلَ لَهُ مَحَطَّةٌ تِلِفِزْيُونِيَّةٌ تَبُثُّ الْمَوْرُوثَ الْعِلْمِيَّ الذِي خَلَّفَهُ الشَّيخُ مِنَ الدُّرُوسِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَغَيْرِهَا إِلَى أَنْحَاءِ العَالَمِ ، بَلْ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْجَامِعَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ كَلَّفَتْ طُلَّابَهَا بِكِتَابَةِ الرَّسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ فِي بَعْضِ عُلُومِ الشَّيْخِ وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ طُرُقِ الاسْتِنْبَاطِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ! وَفِي الْعَامِ الْمَاضِي تَمَّ إِحْصَاءُ هَذِهِ الرَّسَائِلِ فَزَادَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ رِسَالَةً مَا بَيْنَ مَاجِسْتِير وَدُكْتُورَاة ، وَلا شَكَّ أَنَّ

هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْمَنْزَلَةِ الْعَالِيَةِ التِي بَلَغَهَا الشَّيْخُ حَتَّى صَارَ مَحَلَّ اسْتِفَادَةِ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي مَجَالاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .

فَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ وَلِجَمِيعِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهِمْ وَالْمَيِّتِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِروهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ .

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ على نبيِّنَا محمدٍ ، وعلى آلِه وَصَحْبِهِ أَجْمَعينَ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ تَلامِيذَ الشَّيْخِ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرُونَ جِدًّا ، فَأَخَذَوا عَنْهُ الْعِلْمَ فِي مَعْهَدِ عُنَيْزَةَ الْعِلْمِيِّ ، وَكُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بِالْقَصِيمِ ، وَفِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بِعُنَيْزَةَ ، فَتَدْرِيسُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ مُدَّتُهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَتَدْرِيسُهُ فِي الْمَعْهَدِ وَالْكُلِّيَّةِ مُدَّتُهُ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً .
وَكَانَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الطَّلَبَةِ مِنْ دَاخِلِ الْمَمْلَكَةِ وَخَارِجِهَا يَرْتَحِلُونَ إِلَيْهِ لِتَلَقِّي الْعِلْمَ عَنْهُ لا سِيَّمَا فِي الصَّيْفِ ، حَيْثُ يَكُونُ لَهُ فِيهِ دُرُوسٌ كَثِيرَةٌ ، فِي الصَّبَاحِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَلا يَنْقَطِعُ عَنِ التَّدْرِيسِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ السَّنَةِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : بَلْ إِنَّ تَتَلْمُذَ النَّاسِ عَلَى عِلْمِ الشَّيْخِ لَيْسَ بِالْجُلُوسِ عِنْدَهُ فَقَطْ بَلِ امْتَدَّ حَتَّى قَرَأُوا كُتُبَهُ وَسَمِعُوا دُرُوسَهُ مُسَجَّلَةً فَتَأَثَّرُوا بِهَا وَاسْتَفَادُوا مِنْهَا .

يَقُولُ أَحَدُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ : اجْتَمَعْتُ يَوْمًا فِي الْحَرَمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَدَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الأَفَارِقَةِ مِنْ نَيْجِيرِيَا وَالذِينَ تَخَلَّقُوا لِاسْتِمَاعِ دَرْسِ شَيْخِنَا رحِمَهُ اللهُ فِي الْحَرَمِ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَبْكِي بِحُرْقَةٍ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ بِالدُّعَاءِ بِكَلامٍ لا أَفْهَمُهُ !! فَسَأَلْتُهُمْ : لِمَاذَا يَبْكُونَ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا مَجْمُوعَةً مِنَ النَّصَارَى أَهْدَى إِلَيْنَا أَحَدُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فِي نَيْجِيرِيَا شَرِيطاً لِلشَّيْخِ مُحَمَّد فِي الْعَقِيدَةِ ، فَأَسْلَمَ

بِسَبَبِ ذَلِكَ الشَّرِيطِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَابًّا ، وَمِنْهُمْ هَؤُلاءِ الْفِتْيَةُ الذِينَ يَبْكُونَ فَرَحاً لِرُؤْيَتِهِمَ لِلشَّيْخِ وَيَدْعُونَ اللهَ لَهُ ، فَالْفَضْلُ لَهُ بَعْدَ اللهِ فِي إِسْلامِهِمْ !

وَمَرَّةً زَارَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَمْرِيكَانِ السُّودِ شَيْخَنَا فِي الْحَجِّ ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ بِفَصَاحَةٍ وَكَأَنَّهُمْ عَرَبٌ أَقْحَاحٌ ؟ قَالُوا لِلشَّيْخِ : نَحْنُ تَلامِيذُكَ !! فَقَالَ : لا أَذْكُرُ أَنَّكُمْ دَرَسْتُمْ عِنْدِي ! فَقَالُوا : يَا شَيْخُ لَقَدْ سَمِعْنَا شُرُوحَكَ مِنَ الأَشْرِطَةِ فِي الْوَاسِطِيَّةِ وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا فَنَحْنُ نَعْتَبِرُ أَنْفُسَنَا تَتَلْمَذْنَا عَلَيْكَ !

وَيَقُولُ أَحَدُ مُرَافِقِي الشَّيْخِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ : فِي عَامِ ١٤١٦ هـ كُنْتُ مُرَافِقاً لِسَمَاحَتِهِ وَهُوَ يَزُورُ الْحُجَّاجَ كَعَادَتِهِ كُلَّ سَنَةٍ ، يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُجِيبُ عَلَى أَسْئِلَتِهِمْ فِي مَطَارِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجِدَّةَ ، فَدَخَلْنَا صَالَةَ اسْتِقْبَالٍ كَانَ فِيهَا حُجَّاجٌ مِنْ جُمْهُورِيَّةٍ مِنَ الْجُمْهُورِيَّاتِ الرُّوسِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ ، فَسَأَلَ الشَّيْخُ إِنْ كَانَ مَعَهُمْ مُتَرْجِمٌ يُتَرْجِمُ كَلامُهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا شَابًّا سُعُودِيًّا فِي اسْتِقْبَالِهِمْ يَتَحَدَّثُ بِلِسَانِهِمْ ، فَطَلَبْنَا مِنْهُ أَنْ يُتَرْجِمَ كَلامَ الشَّيْخِ ، فَوَافَقَ وَأَخَذَ الشَّيْخُ يَتَحَدَّثُ وَالشَّابُّ يُتَرْجِمُ ، وَفِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِ دَخَلَ شَابٌّ يَرْكُضُ عَرَفْنَا فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ مُرْشِدُ الْحَمْلَةِ ، وَإِذَا بِهِ يَتَحَدَّثُ الْعَرَبِيَّةَ بِطَلاقَةٍ ، وَطَلَبَ أَنْ يَقُومَ بِالتَّرْجَمَةِ ، وَأَخَذَ مُكَبِّرَ الصَّوْتِ وَهُوَ لا يَعْلَمُ مَنِ الشَّيْخُ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ حَدِيثِهِ ، جَاءَ لِيُسَلِّمَ فَقُلْنَا لَهُ : هَذَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُثَيْمِينَ ! فَاسْتَغْرَبَنَا مِنْ مَعْرِفَتِهِ لِلشَّيْخِ ، وَإِذَا بِهِ يَضُمُّ الشَّيْخَ بِذِرَاعَيْهِ ، وَأَخَذَتِ الدُّمُوعُ تَنْهَالُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعُثَيْمِين ! وَيُكَرِّرُ اسْمَهُ فَرَحاً ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ أَخَذَ مُكَبِّرَ الصَّوْتِ ، وَنَادَى فِي أَفْرَادِ الْحَمْلَةِ بِكَلامٍ لَمْ نَفْهَمْ مِنْهُ سِوَى تَرْدِيدِهِ لاسْمِ الشَّيْخِ ، وَكَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ أَكْبَرَ عِنْدَمَا أَخَذَ أَفْرَادُ الْحَمْلَةِ يَبْكُونَ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَهُمْ يُرَدِّدُونَ اسْمَ الشَّيْخِ الْعُثَيْمِين ، وَقَالَ الشَّابُّ : يَا شَيْخُ كُلُّهُمْ طُلَّابُكَ ، هَؤُلاءِ كَانُوا يَدْرُسُونَ كُتُبَكَ فِي الأَقْبِيَةِ تَحْتَ الأَرْضِ لَمَّا كَانَ تَعْلِيمُ الإِسْلامِ عِنْدَنَا مَمْنُوعاً ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ لِلسَّلامِ عَلَيْكَ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْ الشَّيْخِ يُقَبِّلُونَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيُرَدِّدُونَ اسْمَهُ !!!

فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ تَأْثِيراً ، وَمَا أَعْلَمُ أَحَداً بَقِيَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَّا وَبَكَى تَأَثُّراً بِمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ : خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ الْقَادِمَةِ نُخَصِّصُهَا بِإِذْنِ اللهِ عَنِ الصِّفَاتِ التِي اتَّصَفَ بِهَا ذَلِكَ الْعَالِمُ ، وَبَعْضِ مَوَاقِفِهِ الْمُؤَثِّرَةِ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِيَرِ الصَّالِحِينَ وَصِفَاتِ الْمُتَّقِينَ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُبُورَهُمْ وَاغْفِرْ لِلأَحْيَاءِ وَيَسِّرْ لَهُمْ أُمُورَهُمْ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُلَمِائِنَا وَأَئِمَّتِنَا وَارْفَعْ دَرَجَاتِهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَارَبَّ العَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْعُثَيْمِينَ وَلِوَالِدَيْهِ وَأَوْلادِهِ وَمَشَايِخِهِ وَطُلَّابِهِ وَأَحْبَابِهِ ، اللَّهُمَّ عَوِّضْنَا عَنْ مَوْتِ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُمْ وَيَحْمِلُ عِلْمَهُمْ وَدَعْوَتَهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .